

وضع المرأة الريفية ببايلك الغرب الجزائري د / كمال بن صحراوي، جامعة ابن خلدون تيارت

الملخص: لم تعالج المصادر المحلية ولا الأجنبية موضوع الريف خلال العهد العثماني بشكل مباشر، لكنها احتوت على بعض المعطيات الأساسية التي تعكس خصوصيات البيئة الريفية وتعطي صورة حول الحياة العامة خارج المدينة، كالعادات والتقاليد والعلاقات العامة وطبيعة التعليم والقضاء ومكانة المرأة ودورها في المجتمع.

ولعل موضوع المرأة الريفية يأتي في مقدمة هذه المسائل ذات الأهمية، ذلك أن هذا العنصر الحيوي أثبت حضوره القوي على مستوى الساحة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي والتفاعل الثقافي والديني، وهو ما يجعل دراسته ضرورية للتعرف على نقاط الظل في حياة المرأة بريف بايلك الغرب الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الريف - بايلك الغرب - الجزائر - المرأة.

Abstract:

Historians of the Ottoman era in Algeria, Algerians and foreigners, gave the reader a global picture of women's status in the deep countryside of the Western Beylik, and recalled her role in management of the family's economy, as well as in the cultural activity of rural society. An image that I worked on through this article in order to participate in the study of the algerian social history.

تقديم: مثل الريف - بكل مكوناته - الخلفية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، ورغم قلة الحديث عن المرأة ودورها فيه في المصادر المحلية فإنها تركت بصماتها بشكل جلي من خلال تربية أبنائها والمشاركة في عمل الأسرة الفلاحي إضافة إلى شغلها داخل البيت.

كما كان للمرأة حضور ديني واجتماعي حيث ساهمت في الوقف وانخرطت ضمن الطرق الدينية، وتفاعلت مع مقتضيات الحياة العائلية من خلال اهتمامها بنفسها والمحافظة على خصوصيتها، فظلت لذلك كله محترمة موقرة خصوصا من قبل أقاربها الذين لم يتوانوا في الدفاع عنها.

غير أن حياة المرأة الريفية ببايلك الغرب لم تكن دائما ملىء بعوامل السعادة وحدها فكثيرا ما حُرمت من الميراث والتعلم، وعوقبت لأنها أنجبت بنتا أو لأنها أصلا امرأة عاقر، فانطلقت معبرة عن مشاعرها عبر ترديد بعض الأناشيد المرتجلة، لتشكو ألما وتعبّر عما تعانيه من قهر بسبب أمر لا مسؤولية لها فيه. لذلك ارتأينا البحث ضمن هذا المقال لنعالج من خلاله هذه الازدواجية الخطيرة التي مست وضع المرأة الريفية.

1- المرأة والنشاط الديني والاجتماعي:

انخرطت المرأة ضمن الطرق الصوفية فعُرفت النساء المريدات بالخونيات كمؤنث للإخوان¹، أو الخواتات كمؤنث للخواوة، وهي كلها ألقاب عامية معناها الإخوة والأخوات. والنساء المريدات مجبرات على اتباع الطريقة وتطبيق ما يأتي من شيوخها خصوصا الأوراد، ولذلك استُحدث منصب المقدمات ليصرن حلقة وصل بين الشيخ والمريدات، وبذلك أثبتت المرأة حضورها على مستوى النشاط القائم على مستوى الزاوية².

وتشتغل مقدمات الطريقة تحت تصرف المقدم، حيث تعملن على إدماج المريدات الجديديات، وتترأسن الاجتماع بهن أو تهيئن الظروف لاجتماع المقدم بهن، وهو أمر لا يتم إلا بصفة جماعية، حيث لا يجتمع المقدم أبداً بامرأة بمفردها³.

وحين تكون الوعدة في بعض أوقات السنة، يخرج أبناء القبائل إلى حيث مقامات الأولياء والمرابطين الذين لهم بهم علاقة "خدمة"⁴، ومعهم نساؤهم وأطفالهم، وقد أحضروا الطعام واستعدوا للاحتفال الذي ينتظرونه سنة كاملة في الغالب، وتبدأ مسابقات الخيل التي تشاهدها النساء فتشجعن الفرسان بإصدار الزغاريد تعبيرا عن فرحتهن بهذه المناسبة⁵.

كما كان للمرأة حضور في الحروب، ففي إطار ثورة درقاوة نزل الباي المقلش بتاسالة ثم رحل "يريد واد الحد ببلد أولاد الزائر، وعيونه ذاهبة وراجعة بأخبار الدرقاوي كما هو شأن أولي العزم والحزم من الملوك، إلى أن تحقق بأن الأعراب بالوادي المذكور يريدون لقاءه مقدمين زياداتهم بين أيديهم، قال والزيادات في عرف العرب بالجزائر بوازل الجمال عليها الهودج بداخل كل هودج امرأة تولول بين صفوف الحرب يزعمون أن ذلك يشجع الجبان ويزيد في زعامة الشجعان"⁶.

أما في عيد المولد النبوي الشريف فإن نساء تلمسان يصعدن - بمجرد بزوغ هلال شهر ربيع الأول - "فوق السطوح ويزغردن عند مشاهدته، ثم تخرج البنات اللاتي هن دون سن البلوغ أفواجا في الأيام الموالية في كل حي من أحياء المدينة وهن ينشدن بأصواتهن الرخيمة الأنشودة التالية:

أمولود أمولود	هذا مولود النبي
والملايكة في السما	يفرحو بأولاد النبي
أعايشة ولا ترقدي	والليلة يزاد النبي
أسعدي من شاف النبي	يعطينا أماراته
عينه كحلة مهذبة	والشوشة واتاته" ⁷

2- مكانة المرأة:

نقل إلينا دارفيو صورة غريبة عن نساء الجزائر في نهاية ق 17 م حيث وصفهن بالبديئات القصيرات اللاتي تضع كل واحدة منهن لحافا يغطيها من الرأس إلى القدمين، ولا تُظهر إلا عينا واحدة. وعلى الأذن ثقب يسمح بوضع الحلبي، غير أن ذلك كله "لاقيمة له" لأنهن متقلباتُ الأمزجة عنيداتُ كسولاتُ يأكلن بشراهة⁸. ومن حق أي قارئ لهذا الكلام التساؤل عن مدى واقعيته، خصوصا وقد رافقه معيار التعميم الذي كثيرا ما يتنافى مع عنصر الموضوعية في الكتابات التاريخية.

والواقع أن المرأة في بايلك الغرب كانت محترمة وموقرة خصوصا من قبل أقاربها، حيث يدافع عنها أهلها حتى وإن بدا منهم أحيانا ما يضايقها، أما استشارتها والأخذ برأيها فأمرٌ لم يكن من السهل قبوله في هذه الفترة، ولم يكن ذكر أسماء نساء البيت أمام الأجانب⁹ أمرا مقبولا. ولذلك ترى الرجل حين يسأل عن أهل صاحبه يسأل عن الدار كناية عنهم فيقول: "كيف اش دارك؟" ذكر أسترازي هذه الكلمات الثلاث وكتبها بالعربية توضيحا لها، وجعلها ترجمة للعبارة التالية: "Comment se porte ta maison?"¹⁰.

وقد حرص المجتمع الريفي على المحافظة على الأعراض، ومن ذلك منع النساء من الاختلاط بالرجال الأجانب عنهن، فحين يدخل الضيف ينادي صاحب المنزل منها إلى ذلك حتى لا تعترض النساء طريقه، وكل من يدخل بيتا دون الإعلان عن ذلك يعتبر سارقا أو راغبا في انتهاك حرمة، ولذلك تسلط عليه عقوبة الموت، فإذا نجا منها تعرض لعقوبات مالية وجسدية¹¹.

ومن باب هذا الاحترام كانت مجالس النساء تُفصل عن مجالس الرجال داخل الخيمة الواحدة بستانار، أما سكان الريف المستقرون في بيوت مبنية فيعزلون غرف النساء عن غرف الرجال لاسيما المخصصة للضيوف. ورغم هذا التحفظ الشديد كانت المرأة تحضر المناسبات الكبرى كرجوع أكابر القبيلة من سفر أو من غزوة مثلا، وتعبّر مع باقي النسوة عن فرحتهن عن ذلك عادةً بإطلاق الزغاريد التي تكون جماعية وبأصوات حادة لا تخلو من الحسن¹².

وحين قدم فرومونتان الفرنسي (1853م)¹³ صورة للنظام القبلي الاجتماعي من خلال قبيلة الأرباع المرتحلة في صحراء الأغواط، لاحظ أن الترتيب أثناء السير كان كالآتي:

شيخ القبيلة وأسرته في المقدمة، ثم الفرسان الذين يكلفون بحماية القبيلة، ثم الفقراء والخدم الذين هم عادة من الزوج. كما لاحظ فرقا أساسيا يعكس مقتضيات السلم الاجتماعي المعمول به آنذاك، فنساء الطبقة الراقية في القبيلة "الحريم" يسافرن في هودج مغلقة، بينما تسافر بقية النساء على الأقدام يتبعهن أولادهن¹⁴.

3- العمل النسوي:

كانت المرأة البدوية تتكفل برعاية الأسرة داخل بيتها، كما تتكفل بمساعدة زوجها خارج البيت، فهي تقوم بمهمتها الأولى من خلال تربية أطفالها ومزاولة التدبير المنزلي، خصوصا ما تعلق بتوفير الأفرشة والأغطية و"الجلال" الذي يغطى به الحصان وقت الشتاء.

ولأن معظم الرجال كانوا ينشغلون بمهام الفلاحة والرعي فإنهم تكفلوا بصناعة الأدوات الرئيسية التي كانوا يحتاجون إليها في الزراعة، بينما تكفلت النساء بصناعات حرفية كالغزل والنسيج، حيث تولت حياكة أفرشة المنزل بل معظم لباس الرجل كالبرنوس والقشابية¹⁵، وقامت بصناعة بعض الأدوات التي تستعمل على مستوى البيت كالمكنسات والأواني الفخارية التي يُحفظ بها كل من الحليب والسمن، بل وصنعت حتى الأفران التقليدية.

أما الرجل فكانت سكناهم في الخيام لأن ترحالهم يقتضي ذلك. والخيمة عادةً سوداء مصنوعة من الصوف المخلوط بشعر الماعز ووبر الإبل، ومكونة من مجموعة من القطع يسمى الواحد منها "فليج" عرضه 60 سم تقريبا، أما طوله وعدد قطعه فيختلفان حسب المساحة التي ستغطيها الخيمة. ويتطلب نسج الخيمة 20 يوما، تقوم النساء خلالها بجهد مشترك ليتحول شكلها الخارجي إلى دلالة واضحة على غنى صاحبها أو فقره كما هو الشأن بالنسبة للمنازل.

أما المهمة الثانية الموكلة إلى المرأة فهي مساعدة زوجها في رعي الغنم وسياسة الخيل وجلب الماء في الأواني والقرب، وعادة ما تحمل رضيعها على ظهرها وهي تقوم بهذه الأعمال، حتى إذا صار بحاجة إلى الرضاعة أرضعته¹⁶.

ومن هنا تبدو مشاغل المرأة الريفية كثيرة، فهي تحلب المواشي وتجلب الماء وتقطع الحطب وتجمع خليط العشب وخثي البقر وتجففه بهدف إشعال النار، كما تمخض اللبن وتعجن الدقيق وتطحن الحب وتتبع الحصادين لجمع السنابل المتساقطة، حتى أنها - لانشغالها الدائم وكثرة مهامها- لم تكن لتتمكن دائما من الاعتناء بهندامها فإذا مرضت تمت مداواتها ببعض الأعشاب¹⁷.

في هذا الإطار -إذاً- شكلت العائلة في الريف الجزائري - بمساهمة قوية من المرأة - وحدة إنتاجية ووحدة استهلاكية في ذات الوقت، ذلك أن الإنتاج كان يتم من أجل إشباع حاجات العائلة فإذا زاد بعضه عن حاجتها وجهته إلى السوق.

وبعيدا عن الأسواق ساهمت المرأة في حيوية النشاط التجاري وربط الريف بالمدينة، ذلك أن "الحضري" كان بائعا متجولا يبيع مواد التجميل والعطور والمرايا والمحارم وغيرها مما يُجلب من المدينة، وكان أحيانا يقايش هذه المواد بما يجد عند أهل الريف، ومن هنا كانت المرأة تنتظر قدومه وتستعد لذلك

بتحضير المواد القابلة للمقايضة كالبيض والدجاج والصوف، وبعد جولة يعود الحضري إلى المدينة بستة أو ثمانية مزاد مملوءة يحملها على بغل¹⁸.

4- الزينة:

لم تكن المرأة الريفية ببايلك الغرب تهمل نفسها من حيث الزينة، فرغم كثرة انشغالها كانت تضع وشما على الكعب والذراع، وعلى اليد والوجه، والوشم - آنذاك - زينة للفتاة منذ صغرها، ويكون عادة على شكل صليب يوشم بين العينين أو على أحد جانبي الأنف، وهذا طبعاً دون قصد من المجتمع ودون تفسير لهذه الظاهرة¹⁹، ورغم أن الصليب لم يكن هو الشكل الوحيد الذي يأخذه الوشم عند المرأة أو حتى عند الرجل خصوصاً في الريف، فإن بعض الكُتاب الفرنسيين حاولوا إعطاء معنى له كظاهرة اجتماعية يربطه بالفترة البيزنطية وتأثيرها المستمر²⁰.

ورغم أننا نتحدث هنا عن الوشم كظاهرة اجتماعية انتشرت بشكل كبير في الجزائر في هذه المرحلة وما يليها، ولا نناقش موقع هذه المسألة في الفقه الإسلامي فإنه جدير بالذكر أن "المرابطين" كانوا ينفرون من الزواج من المرأة التي يكون وشمها مبالغاً فيه، وذلك استناداً إلى حكم القرآن الكريم في الوشم الذي كان المجتمع آنذاك يسميه "كتابة الشيطان"²¹، ورغم هذا الموقف الواضح لم تمتنع المرأة عن الوشم الذي ظل من أهم أشكال زينتها.

وتكتمل المرأة البدوية زينتها بالحناء خصوصاً على الأطراف والأظفار والأصابع²². وقد لاحظ Chevalier d'Arvieux في النصف الثاني من ق 17م أنها كانت تضع الكحل على حاجبها، أما العروس فتزين على وجهها - إضافة إلى الكحل - بنقاط سوداء أو حمراء أو زرقاء، وتضع الحناء على يديها ورجليها، أما على ذراعها فتضع طلاء مختلف الألوان تُرسم به مجموعة من الدوائر²³.

وللحناء²⁴ في المجتمع الريفي على الخصوص مكانة خاصة لها ارتباطاً بالدين اقتداء برسول الله ﷺ، ولذلك كان كثير من الرجال يصبغون لحاهم باستخدام الحناء، أما النساء فتعتبرن هذه المادة أصل الزينة، وتحس المرأة حين تضعها على يديها ورجليها بشبابها يتجدد. ولا يتعلق الأمر هنا بالفتيات فقط بل حتى بالعجائز، حيث يضعنها خلال الشهر مرة على الأقل، ويكون ذلك يوم الإثنين أو الجمعة، أما وضعها على الرأس فلصبغ الشعر وعلاج سقوطه.

ولا تغيب الحناء عن المواسم الهامة حيث تزين بها العروس وصديقاتها، ويبعث الخاطب بعضها منها إلى خطيبته، وكانت عادةً خطبة الأطفال منذ الولادة منتشرة بتلمسان، عندها يبعث والد الطفل لوالد الطفلة 01 كيلوغرام من هذه المادة في منديل وتسمى هذه بحنة الإثبات، كما تحظى النساء بالعناية من خلال إكرامها بالحناء.

5- الزواج والإنجاب:

ساهمت الظروف الاجتماعية والاقتصادية في ظاهرة التعدد إلى حد كبير، حيث لم يكن الميسورون ليجدوا صعوبة مادية لتغطية مصاريف البيت الثاني، بل حتى الخماس كان على فقره يتزوج أكثر من واحدة لتعينه على أداء مهامه الكثيرة²⁵ إذ تساعده الأسرة كلها على زرع الأراضي وإنجاز مختلف الأشغال²⁶.

وهذا ما أشار إليه الرحالة الألماني فون مالتسان بقوله: "وكل بدوي تقريبا يتزوج عدة نساء لأنهن - عوض أن يكلفنه ثمنا - يصبحن على العكس من ذلك مكسبا له، فهن فتيات عاملات يشتغلن في حقله، دون أن يقدم لهن أجرا، أما الحضري فإنه يكاد يقتصر دائما على امرأة واحدة"²⁷.

وحين تُخطب المرأة الريفية يطلب ولها - إضافة إلى صداقها - هدية معتبرة تتماشى ووضعها وجمالها، وتسمى هذه الهدية بالماكلة، غير أن أهل المدن كانوا ينظرون إليها على أنها شيء غير مشرف²⁸.

وكان الاتفاق أحيانا يتم على تأخير جزء من الصداق يدفعه الزوج حال تمكنه من ذلك، فإن استطاع ولم يفعل صار زواجه غير صحيح من وجهة نظر الشريعة الإسلامية، وإذا كانت نساء كثيرات قد تمكّن من الحصول على مؤخر الصداق فإن نساء أخريات حرمن منه كما حدث بمليانة لزليخة بنت حسن أبو ريشة وكانت زوجة لعلال بن السيد مصطفى المتوفى عنها.

ولم يكن هذا الأمر ليحدث مع الفقراء فقط وإنما مع الأثرياء وموظفي الدولة بما فهم البايات، وهو ما ورد عرضا في عقد بيع بمليانة متعلق بدار آلت ملكيتها لخديجة بنت ابن سالم آغا زوجة إبراهيم باي الغرب، وقد انتقلت ملكية الدار إلى ولدها الحاج محمد بن إبراهيم باي²⁹.

ونتيجة لرابطة الزواج تُنجب النساء العربيات - وهن قادرات على ذلك منذ سن الحادية عشرة - وتتوقف أغلبهن عن الإنجاب عند سن الثلاثين، ورغم هذه الخصوبة التي يُتوقع معها ارتفاع مذهب في عدد السكان هناك عوامل كانت تمنع هذه الزيادة منها اجتياح مرض الطاعون للمنطقة، وقلة المعرفة بالأدوية الضرورية لمحاربة أمراض كثيرة³⁰.

ونظرا لهذه القدرة المبكرة على الإنجاب نشأت ظاهرة ملفتة للنظر في المجتمع خصوصا الريفي، وهي أن السن الوسط الذي يفصل الطفلة عن المرأة صار غائبا، فالشابة آنذاك هي الطفلة التي تُخطب وعمرها 10 سنوات لتزف سنتين بعد ذلك، أما حين يصبح عمرها 16 عاما فإنها تكون قد أنجبت 03 أطفال³¹.

وكانت زيارة أهل والأقارب للمرأة تكثر حين تضع مولودها فتقوم النساء على خدمتها. وقبل ذلك يُنادى على مجموعة من تلاميذ الكتّاب فيبسطوا رداء يشده كل منهم من طرف وتوضع به بيضة، ثم يمضي الأطفال جريا مرددين بعض الدعوات بصوت مرتفع حتى إذا سمعت نساء الحي ذلك خرجت كل

منهن تحمل جرة ماء، ثم أفرغتها على حبة البيض، ومتى انكسرت ولدت المرأة طفلها بسلام. ثم ترتفع الزغاريد مرتين أو ثلاثا معبرة عن الفرحة بقدم الولد، ومرة واحدة حين تولد البنت³².

وكان أهل البادية يحتفلون بالمولود في يومه السابع ويفرحون به، ويقوم الجد أو الأب بالدعاء له والصلاة من أجله ثم يعلن اسمه للحاضرين. وكانت الأسماء تخضع لمراتب³³:

أ- أسماء الأنبياء

ب- أسماء الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي لدورهم في خدمة الإسلام

ت- أسماء الله الحسنى تسبق بلفظة "عبد"

ث- لفظة "الدين" تسبق بكلمة أخرى تحمل معنى جميلا كمحيي، نور، خير وجلال

ج- كلمات تحمل معاني صفات جميلة كحسن، سعيد، رشيد ومصطفى

ح- تعطى للبنات أسماء ذات دلالات حسنة كزهرة، سعيدة، ظريفة وجميلة

أما المرأة العاقر فكانت مأساتها كبيرة حيث لا يكتفي زوجها بالزواج عليها، بل يعرضها للإهانة بشكل دائم لأنه يفضل المرأة الولود التي تثير غيرة الأخريات، فتنتقل مشاعر الواحدة منهن عبر ترديد بعض الأناشيد المرتجلة، لتشكو ألامها وتعبّر عما تعانیه من قهر بسبب أمر لا مسؤولية لها فيه.

إني امرأة هدها العجز والشقاء

لا أب لي ولا أما حنوننا!

زوجي ينفر مني لأنني عاقر

يلف ظفيري حول قبضة يده ويوقعني أرضا

يدوسني بقدميه فترتوي الأرض من دمائي

يخص بالحب نواره، ويهدي لها المحارم الحريية

بينما يتركني أنا، أنا المسكينة عارية

هل الذنب ذنبي أن جعل رحمي عاقرا؟

يا ويلي يا ويلي يا ويلي³⁴

6- اللباس:

في الربع الأخير من ق 17م تحدث دارفيو عن لباس الجزائريين فخرج على لباس سكان الأرياف، وذكر أنهم يلتحفون بلحاف أبيض، والبعض منهم يلبسون قمصانا وسراويل، ويشجعهم حر الصيف على الاكتفاء بهذا اللحاف³⁵، بينما يولي "المربطون" أهمية خاصة للقمصان والسراويل رغبة في الظهور في أحسن حال.

وعوض لحاف الصوف الذي يضعه كثير من الناس يضع المرابط لحافا من الكتان يغطيه من رأسه إلى قدميه، لأنه يرى في ذلك نوعا من الالتزام بالطهارة التي يفرضها الإسلام. أما لباس النساء فلم ير فيه ما يستحق الذكر سوى أنه نسيج كتاني أبيض أو أزرق مركب بطريقة صعب عليه وصفها³⁶.

وكانت المرأة تلبس حايك يشبك بالدبابيس، وهو ينسج من قماش ثم يكف بقماش آخر أحمر أو أزرق. ويُعطى الرأس بقطعة من الكتان أو بمنديل قطني. بينما يرتدي الرجل البدوي لباسا من الصوف على شكل كيس مثقوب في الوسط لإخراج الرأس، وبه ثقبان آخران على الجانبين لإخراج اليدين، ويصنع عادة من الصوف الأسود. ويضيف إليه الأغنياء لباسا آخر هو البرنس، وعادة ما يكفي برنس واحد صاحبه طول حياته لا يفارق جسده³⁷.

كما تحدث حمدان خوجة عن عادات العرب سكان الأرياف فذكر أن الرجال يلبسون القندورة وهي من قماش قطني على خلاف القماش الصوفي الذي يلبسه الأمازيغ، أما النساء فتلبس الواحدة منهن حايك يُصنع من القطن صيفا ومن الصوف شتاء، كما تضع حزاما من الصوف أو من الوبر الجيد³⁸.

وقد أكد الفرنسي فرومونت في رحلته إلى الصحراء الجزائرية عام 1853م أن الرجال والنساء على السواء يشتركون في ارتداء اللباس الواسع الفضفاض، فهو لباس الزاهد المتقرب إلى الله، ولباس الراعي المسكين، وهو أيضا لباس الأمراء، كما أقر أن هذا اللباس يمتلك امتيازاً آخر؛ إنه أكثر محلية وهو بذلك أكثر جمالا من الزي اليوناني³⁹.

ومن باب المقارنة ذكر هوداس⁴⁰ أن المرأة العربية كانت تضع النقاب، أما الأمازيغية فكانت تكشف عن وجهها، وأورد أنها كلما مرت على رجل "أجنبي" أدارت وجهها، فإن لم تفعل ذكرها زوجها - بضربات خاطفة على رأسها - بأن التخلص من النقاب ما تم إلا لدواعٍ اقتصادية⁴¹.

استنتاجات:

- مثلت المرأة الريفية ببابليك الغرب أساس الأسرة وجزءا من المجتمع من خلال مشاركتها في تربية النشء، وتمتعت بمكانة ضمننت لها كرامتها في غالب الأحيان.

- ساهمت في التنمية من خلال نشاطها داخل الأسرة ومساعدتها لأهلها، وهو ما يتضح من نشاطها الدؤوب لتغطية كثير من الحاجات الضرورية.
- رغم خصوصية الظرف الذي عاشت ضمنه المرأة الريفية فإنها لم تغب عن النشاطات الدينية والثقافية التي عرفها المجتمع.
- لم يسلم الرجل الريفي من التضييق على المرأة لاسيما العاقر، حيث حملها مسؤولية عدم الإنجاب.
- ساهم الكتاب الأوروبيون في التعريف بالمرأة الريفية الجزائرية، لكنهم تحاملوا عليها كثيرا خصوصا حين تعلق الأمر بزينتها وثقافتها.

الهوامش:

- 1- Esterhazy, De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, Librairie de Charles Gosselin, 1840, p196
- 2- Octave Depont, Xavier Coppolani, Les confréries religieuses musulmanes, Adolphe Jourdan, Imprimeur, Libraire, éditeur, 4, Place du Gouvernement, Alger, 1897, p196
- 3- Louis Rinn, Marabouts et Khouanes, Etude sur l'Islam en Algérie, Alger, Adolphe Jourdan, Libraire, éditeur, 1884, pp 88 - 89
- 4- يُعرف المرابطون وذريتهم بالسادة ويعرف الأتباع بالخُدام الذين يقبلون دفع الترضيات للمرابط وذريته من بعده.
- 5- Esterhazy, De la domination turque ... Op.cit, p301
- 6- محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط 2، 2007، ص 219
- 7- الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، 1995، ص 272
- 8- Chevalier d'Arvieux, Mémoires du Chevalier d'Arvieux, Paris, Libraire Le Fils, sans date, p 287
- 9- الأجنبي المقصود هنا هو الذي ليس من محارم المرأة.
- 10- Esterhazy, De la domination turque ... Op.cit, p 144
- 11- Laugier de Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, Amsterdam, Henri du Sauzet, sans date, p 113
- 12 - E, Daumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie, Tell, Kabylie, Sahara, Paris, Librairie Hachette et Cie, 1853, p 40

- 13- ذكرنا هذا من باب المقارنة وإلا فهو خارج عن الإطار الزمني المحدد في العنوان
- 14 - عيسى عطاشي، صورة الجزائر في أدب الرحلات الفرنسي "صيف في الصحراء" لفرومنتين نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 67
- 15 - عيسى عطاشي، نفسه، ص 81
- 16 - Laugier de Tassy, Op.cit, p 58
- 17 - حمدان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط 2، 1982، ص 74
- 18 - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، 1519 – 1830، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006 – 2007، ص 244
- 19 - ظلت النساء إلى وقت قريب تستعملن في غرب الجزائر أشكالاً مختلفة منها شكل الصليب والصليب المعقوف عند قيامهن بنسج الزرابي والأغطية المختلفة.
- 20 - يراجع مثلاً:
- Octave Depont, Xavier Coppolani, Op.cit, p119
- 21 - E, Dumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie, Tell, Kabylie, Sahara, Paris, Librairie Hachette et Cie, 1853, pp 186 - 187
- 22 - G, de Lombay, En Algérie. Alger, Oran, Tlemcen, Ernest Leroux Editeur, 1893, p 210
- 23 - Chevalier d'Arvieux, Op.cit, p 287
- 24 - سنعمد في معالجة موضوع الحناء على دراسة نشرت عام 1934 ضمّتها صاحبها تفصيلات هامة: Vonderheyden, «Le henné chez les musulmans de l'Afrique du Nord» Journal de la Société des Africanistes, 1934, tome 4, fascicule 1, p 41 et suite
- 25 - حمدان خوجة، مرجع سابق، ص 73
- 26 - لكن من خلال دراسة معمقة أنجزها دومينيك تابوتان توصل إلى أن تعدد الزوجات في بلاد المغرب في الفترة الاستعمارية لم يعد ذا أهمية بالغة، حيث كان تأثيره ضعيفاً إن لم نقل مهملًا، وهذا الحكم ينطبق على الجزائر، ففي إحصاء أجري عام 1911م تبين أن 64 رجلاً فقط من كل ألف رجل متزوج (64%) عددوا الزواج. يراجع:
- Dominique Tabutin, «La polygamie en Algérie», Population, N°2, 1974, pp 313 – 314
- 27 - هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبي العيد دودو، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 1، 1973، ص 73

28 - Esterhazy, De la domination turque ... Op.cit, p 281

29 - Ouddène Boughoufala, «Famille et généalogie à Médéa et à Miliana à l'époque ottomane, Etude d'après les archives ottomanes de l'Algérie», History Studies, Volume 2/2, 2010, p153

30 - E, Quetin, Guide du voyageur en Algérie, Paris, L. Maison, Libraire-Editeur, 1848, p 134

31 - عيسى عطاشي، مرجع سابق، ص 83

32 - Haedo, «Topographie et histoire générale d'Alger», Revue Africaine, vol № 15, 1871, p 97

ولعل هايدو لاحظ هذا في جهة واحدة فقط لكنه عمم الحكم!!!

33 - Esterhazy, De la domination turque ... Op.cit, pp 324 – 325

34 - أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، 1830 – 1855، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1989، ص 206. والقصيدة في الأصل تُغنى بالعامية لكن أحد الرحالة الألمان ترجمها إلى الألمانية، ثم نقلت إلى العربية الفصحى

35 - حين يشتد الحر يضع أهل الريف على رؤوسهم مظلات أسفلها دائري وأعلىها مخروطي، وقد صنعت من السعف وزينت بريش أسود. يراجع:

عيسى عطاشي، مرجع سابق، ص 68

36 - Chevalier d'Arvieux, Op.cit, pp 280 – 282

37 - حمدان خوجة، مرجع سابق، ص ص 70 – 71

38 - حمدان خوجة، نفسه، ص 70

39 - عيسى عطاشي، مرجع سابق، ص 71

40 - طبع كتابه عام 1882م

41 - Houdas, Ethnographie de l'Algérie, Paris, Maisonneuve Frères et Ch. Leclerc Editeurs, 1886, p 83

ربما يقصد خروجها لمساعدة زوجها في إدارة أعماله لكنه في الواقع لم يوضح طبيعة هذه الدواعي الاقتصادية، ولذلك يجد القارئ كثيرا من الغرابة وهو يطلع على آراء الأجانب فيما يتعلق بالمجتمع الإسلامي، فهل يعقل أن كل النساء الأمازيغيات كن في ذلك الوقت سافرات الوجوه؟ وهل كانت المرأة أصلا محتاجة إلى من يضرها حتى تنتبه إلى ضرورة المحافظة على عرضها؟ وحتى إن رأى هذا الكاتب أو غيره حالات من هذا النوع فهل يحق له تعميمها أم تبقى حالات شاذة تحفظ لكن لا يقاس عليها؟